تفسير القرآن العظيم

المسمى

تأويلات أهل السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

غاية في كلمة

مؤسسة الرسالة ناشرون
منشورات
مروان رضوان دعبول
هاتف: ٥٤٤٦٢٩١ - ٥٤٤٦٢٩٠
فاكس: ٥٤٤٦٢٩٢ (٩٦١١)
ص.ب: ١١٧٤٦٠
بيروت - لبنان

Resalah Publishers
Tel: 546720 - 546721
Fax: (9611) 546722
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon
Email:
resalah@resalah.com
Web site:
http://www.resalah.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

ISBN 9953-32-096-9

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٤ م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

تفسير القرآن العظيم

المسمى

تأويلات أهل السنة

تصنيف

أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي

(ت ٣٣٣ هـ)

تحقيق

فاطمة يوسف الخيمي

المجلد الأول

مؤسسة الرسالة ناشرون

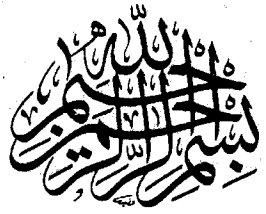

اللهمَّ

اجْعَلْني ومَنْ كانَتْ لهُ يدٌ في

إخراجِ هذا الكتابِ ومنْ يَقْرَؤُهُ مِمَّنْ يُرَدِّدُ

دعاءَ سيِّدِنا إبراهيمَ عليه السلام

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾

فاطمة يوسف الخيمي

تصدير

بقلم محمد علي حمد الله

هل بُعِثَتْ رابعةُ العَدَوِيَّة؟

هذا أوَّلُ ما نطقَ بهِ القلمُ حينَ جلستُ لأكتبَ هذا التصديرَ، وإذا لم يَجُزْ لي ذلكَ، والله أعلم، قلتُ:

قامَتْ في جَنَباتِ هذا القرنِ تقيَّةٌ شبيهةٌ برابعةَ العَدَوِيَّةِ، عَدَوِيَّةِ القرنِ الثاني للهجرةِ، عدويَّةِ القدسِ الشريفِ، حيث بقيَ قبرُها إلى اليومِ يُشرِفُ من رأسِ جبلٍ على مآذنِهِ القديمة والقادمةِ...

رويدَكَ يا قارئي! لا تعذلْني بما قلتُ... وإلّا... فما دلالةُ أنَّ كُتُبَها المطبوعةَ صارَتْ ثلاثةً، وكُلُّها في القرآنِ حصراً!؟ ما معنَى أنها منذُ تقاعَدَتْ، أي قَبْلَ عشرينَ عاماً، تعيشُ مع التراثِ الإسلاميِّ في مكتبة الأسد: تعريفاً للمخطوطات الواردة ووصفاً لها، ثم في منزلها: تحقيقاً وبحثاً، عِلْماً أنها وحيدةٌ: لا أبوينِ ولا إخوة أو أخوات، ولا أعمام أو عمّات، ولا أخوال أو خالات. فكيف تحملَتْ وحشةَ الوحدةِ!؟ إنها القراءةُ والكتابةُ سُلْواناً ما بعدَهُ سُلْوانٌ... فهنيئاً لها بما ادَّخَرَتْهُ لصحيفتِها.

ما أنا مِمَّنْ يكبُرُ المحقَّقةَ عُمُراً أو ذِكْراً، ولكنَّني منْ أترابِها الذينَ احتضَنَتْ أجفانُهُمْ صورةَ سعيد الأفغاني، وأمجد الطرابلسي، وشفيق جبري، وعمر فرّوخ، وعز الدين التنوخي، وشكري فيصل، وصبحي الصالح، وجودة الركابي، ويوسف العش، وإبراهيم الكيلاني، وعبد الكريم اليافي، ومصطفى الزرقا، وغيرِهِمْ. وأوشكُ أنْ أقولَ:

أولئكَ أسنادي فَجِئْني بمثلِهِمْ .....

أنا الآن لا أترجمُ ثقافةَ المحقَّقةِ، ولكنّي أترجِمُ العواملَ الثقافيَّة التي كوّنَتْ هذه المحقَّقةَ تحديداً.

كانَتِ المحقَّقة تسمعُ - منْ خلالِ الكتبِ - أشياءَ عنِ الماتريديِّ في فَتَراتٍ متباعدةٍ إلى أن عظُمَتْ لَدَيها الرغبةُ في اسْتِجلاءِ أمرِهِ. ولمّا سنحَتْ لها فرصةٌ، لم تخطُرْ على البالِ، حصلَتْ على نسخَتينِ منْ كتابِ الرجل. فإذا هو ليسَ تفسيراً محضاً، ولكنهُ (تأويلات أهل السنة) بمعنَى أنهُ تفسيرٌ، غرضُهُ الأولُ: الرَّدُّ والحوارُ ومقارعةُ الحُجَّةِ بالحُجَّةِ. ومِنْ هنا أمْلَتِ المحقَّقةُ أنْ يكونَ لهُ قُرّاؤُهُ، رغمَ التفاسيرِ الأُخرَى المُتاحة.

مَضَتِ المحقَّقةُ في قراءةِ المخطوطةِ قراءةً مُتَأنِّيةً رغمَ طولها [٣٢٠٠ صفحة مِنَ القطعِ الكبيرِ] ورغمَ صعوبتِها البالغةِ.. بسببِ الناسخِ أحياناً، وبسببِ أسلوبِ الماتريديِّ الذي يدلُّ جهرةً أنَّ صاحبَهُ لم يُحاذِ تماماً أسلوبَ الأعاجم الذينَ ارْتَقَوا سُدَّةَ الفصاحة بالعربيةِ في محافلِ العراقِ التي لم يَطَأْها. ولكنَّ المحقَّقةَ عزمَتْ متوكِّلَةً على اللهِ أنْ تُحَقِّقَ الكتابَ باعْتِمادِها على النسخِ التي وصفَتْها، وعلى تفسيرِ كتاب الماتريديِّ بقلمِ السمرقنديِّ.

وفي أثناءِ العملِ كانتِ المحقَّقةُ لا تألو جَهْداً، إذا غَمَضَ نصٌّ لسوءِ خَطٍّ فيه، أو سَقَطٍ، أو تَحريفِ ناسخٍ... أنْ تلجَأَ، إمّا: إلى المراجعِ، وإمّا: إلى أهلِ التفسيرِ، وعلمِ العقائدِ، وعلومِ اللغةِ، وتاريخِ الفرقِ الدينيةِ، ولا سيما أنَّ الماتريديَّ أسهبَ في نقدِ عقيدةِ المعتزلةِ.

معَ كلِّ هذا (الوَرَعِ) و(العِلْمِ) و(الخبرةِ بالمخطوطاتِ) و(الدأبِ ثماني سنواتٍ)، وهي العناصرُ التي صنَعَتْ هذا الكتابَ، ظَلَّتِ المحقَّقةُ تدعو بتواضعٍ:

اللهمَّ قَيِّضْ لهذا الكتاب منْ يزيدُهُ حُسْناً وتحقيقاً. وحسبي أنْ دَلَلْتُ الناسَ عليهِ، وأكملْتُهُ بعدَ تَحَوُّلِ غيري عنه، أو قَطْعِهِ الطريقَ دونَهُ.

قَيِّدٌ شُدَّ، وكتبه الضارع إلى الله محمد علي حمد الله

دمشق ٢٧ رمضان المبارك ١٤٢٤هـ

٢٢ تشرين الثاني ٢٠٠٣م

استهلال

الحمدُ للهِ حَمْداً، لا يُعَدُّ، ولا يُحْصَى، والصلاةُ والسلامُ على خَيرِ خَلْقِهِ ذي الصفاتِ المُثْلى .

وبَعْدُ، فإنَّ اللهَ ﷻ دعا رسولَهُ الكريمَ محمداً ﷺ في أُولَى آياتِهِ التي أنْزَلَهَا عليهِ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١و...] إلى التَّفَكُّرِ بوحدانيَّتِهِ والعَمَلِ بما أنْزَلَ عليهِ.

وَعَكَفَ الصحابةُ والفُقهاءُ والتّابعونَ على القرآنِ العظيمِ، يُحاوِلونَ تفسيرَهُ وبَيانَ إعجازِهِ ليكونوا خيرَ خَلَفٍ لِخَيرِ سَلَفٍ طالِبينَ ثوابَ الله ﷻ في الدنيا والآخِرَةِ. وخلَّفوا تُراثاً ثَرّاً ما زالَ أكْثَرُهُ حَبيسَ المَكتَباتِ الخاصَّةِ والعامَّةِ، يَحْتاجُ إلى مَنْ يُخرِجُهُ، ويُقَدِّمُهُ لِطُلابِ العِلْمِ لِيَنْهَلُوا مِنْ مَعِينِهِ.

وقد سَهَّلَ اللهُ ﷻ لي بِفَضْلِهِ ومَنِّهِ العَمَلَ في تَحْقِيقِ وطَبْعِ كتابِ (الوجوه والنظائر لألفاظِ كتابِ اللهِ العزيزِ ومعانيها) لِمُصَنِّفِهِ أبي عَبدِ اللهِ الحُسَينِ بْنِ مُحَمَّدٍ الدامَغانيِّ المُتَوَفَّى سنةَ /٤٧٨/ هجرية وكتابِ (وجوه القرآنِ العظيمِ) لِمُؤَلِّفِهِ أبي عَبْدِ الرحمنِ إسماعيلَ بْنِ أحمدَ الضَّريرِ الجِيريِّ النَّيسابوريِّ المُتَوَفَّى بَعْدَ سنةِ / ٤٣٠/ هجرية بِيَسيرٍ.

وكانَ منْ نِعَمِ اللهِ ﷻ عليَّ أنْ يَسَّرَ لي أيضاً سُبُلَ تَحقيقِ هذا الكتابِ (تأويلات أهلِ السنةِ) لِمُصَنِّفِهِ أبي منصورٍ محمدِ ابنِ محمدِ بنِ محمودٍ الماتُريديِّ السَّمَرْقَنْدِيِّ الحَنَفِيِّ المُتَوَفَّى سنةَ / ٣٣٣/ هجرية لأقدِّمَهُ إلى طالبي معرفةِ عُلومِ القرآنِ العظيمِ سائلةً المولَى ﷻ القَبولَ والفائدةَ، إنّه هو السميعُ المُجيبُ.

فاطمة يوسف الخيمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترجمةُ المؤلفِ

هو أبو منصورٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمودٍ الماتُريديُّ السمرقنديُّ نسبةً إلى مسقطِ رأسِهِ: ما تُريدَ أو ماتُريتَ[1] وإلى المدينةِ القريبةِ منْ مولدِهِ: سمرقندَ[2]. وقد نسبهُ الإمامُ كمالُ الدينِ أحمدُ البياضيُّ في كتابِهِ (إشاراتُ المرامِ مِنْ عباراتِ الإمامِ) إلى أبي أيوبَ الأنصاريِّ[3].

وظنَّ بعضُ الباحِثِينَ المحدَثينَ أنَّ هذا المؤلفَ العالمَ، لم يحظَ باهتمامِ المؤرِّخينَ القدماءِ لأنَّ بعضَ كتبِ التراجمِ لم تذكرْهُ، ولأنَّ تاريخَ مولِدِهِ لم يعرفْهُ أحدٌ، وعَزَوا فضلَ التعريفِ بهِ إلى ما كتبَ الباحثونَ في العقدَينِ السابعِ والثامنِ مِنْ هذا القرنِ[4]. وردَّ الدكتورُ بلقاسم الغالي سببَ إغفالِ المؤرِّخينَ القدامى أبا منصورٍ إلى أسبابٍ أربعةٍ.

«**أوّلُها**: بعدُ الماتريديِّ عنْ مركزِ الخلافةِ العباسيةِ بغدادَ.

وثانيها: دعمُ القوةِ السياسيةِ مدرسةَ أبي الحسنِ الأشعريِّ التي نشأ صاحبُها، وماتَ في بغدادَ سنةَ / ٣٢٤/ هجرية.

وثالثُها: نصرةُ المذهبِ المالكيِّ الشافعيِّ المدرسةَ الأشعريةَ وبقاءُ المدرسةِ الماتريديةِ وحدَها لم يدعَمْها أيُّ مذهبٍ.

ورابعُها: سهولةُ المواصلاتِ على العلماءِ الدارسينَ بينَ مركزِ الخلافةِ وبلادِهِمُ القريبةِ منه»[5].

والحقيقةُ أنَّ هذه الأسبابَ ليسَتْ أربعةً، وإنما السببُ واحدٌ، هو بعدُ الماتريديِّ عَنْ مركزِ الخلافةِ وما ينجمُ عنهُ، وهو ما أشارَ إليه الدكتورُ فتحُ اللهِ خليفٌ في مقدمة كتابِهِ (التوحيدُ)[6]، إذْ كلُّ حدثٍ يتأثرُ بهِ مَنْ حولَهُ، ويتفاعلُ معهُ، ويبقى البعيدُ عنهُ في مَعزِلٍ، وكأنَّهُ لا يمتُّ إليهِ بصلةٍ.

ولعلَّ أكبرَ دليلٍ على ذلكَ استقلالُ بعضِ الدولِ الإسلاميةِ وانفصالُها عنِ الدولةِ العباسيةِ الأمِّ كالدولةِ السامانيةِ في ما وراءَ النهرِ حيثُ نشأَ الماتريديُّ وغيرُهُ منَ الأعلامِ في سمرقندَ والدولةِ اليزيديةِ في خوزستانَ والدولةِ الصُّفّاريةِ في فارسَ وما حولَها والدولةِ الحَمْدانيّةِ في الموصلِ وديارِ بكرٍ والدولةِ الإخشيديةِ في مصرَ والشامِ. وكانَ لحكامِ هذه الدولِ اليدُ الطُّولى في ازدهارِ الحياةِ الاقتصاديةِ والعلميةِ ودَعْمِ أصحابِ المذاهبِ الدينيةِ والفكريةِ وتنشيطِ حركةِ التأليفِ فيها وفي جاراتِها منَ الدولِ[7].

ورغمَ ظنِّ البعضِ أنَّ مؤلفَنا أبا منصورٍ الماتريديَّ قد أهملَهُ المؤرخونَ القدماءُ أُطْلِقَتْ عليهِ ألقابٌ، لم يُعرفْ بها أحدٌ منْ قبلِهِ أو بعدِهِ، فسمَّاهُ أصحابُهُ وتلامذتُهُ والذينَ ترجمُوهُ: إمامَ الهدى وإمامَ المتكلِّمينَ ومصحِّحَ عقائدِ المسلمينَ ورئيسَ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ ومُهديَ هذه الأمّةِ وناصرَ السنَّةِ وقامعَ البدعةِ ومُحيِيَ الشريعةِ ومُوطِّدَ عقائدِ أهلِ السنَّةِ[8].

---

(١) الأنساب ٥/ ١٥٥.

(٢) معجم البلدان ٣/ ٢٤٦ و....

(٣) ص: ٢٣.

(٤) مقدمة كتاب (التوحيد) لأبي منصور الماتُريدي تحقيق الدكتور فتح الله خليف ص/ ٢ ومقدمة كتاب (تفسير الماتريدي المسمى تأويلات أهل السنة) تحقيق وتعليق الدكتور إبراهيم عوضين والسيد عوضين ص/ ٩و...، وكتاب (أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية) تأليف الدكتور بلقاسم الغالي ص/ ١١و...

(٥) (أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية) ص/ ٤٣.

(٦) ص/ ١٠.

(٧) (محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية) تأليف محمد الخضري ص/ ٢٩٦ وكتاب (ظهر الإسلام) تأليف أحمد أمين ح١/ ٩١و..

(٨) (الجواهر المضيَّة في طبقاتِ السادةِ الحنفيةِ) ج٢/ ١٣٠ و...، وذيلها ح٢/ ٥٦٢ و(تاج التراجمِ في طبقات الحنفيةِ) رقم الترجمة / ٢١٧/ ص/ ٢٤٩، ومقدمة (إشارات المرامِ مِنْ عباراتِ الإمامِ) ص/ ٦، و(إتحاف السادةِ المتقينَ بشرحِ إحياء علومِ الدينِ) ح٢/ ٥، و(الفوائد البهيّة في تراجمِ الحنفية) ص/ ١٩٥.

فإنْ قيلَ: إنَّ ما وصلَنا عَنْ حياةِ أبي منصورٍ الماتريديِّ قد اقتصرَ على ذكرِ اسمِهِ وكنيتِهِ وألقابِهِ وتاريخِ وفاتِهِ التي كانَتْ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ومكانِ قبرِهِ في سمرقندَ وذكرِ أساتذتِهِ وتلامذتِهِ وعرضِ أسماءِ كتبِهِ في التفسيرِ والعقيدةِ والفقهِ فإنّنا نقولُ: ألا يَفي بغرضِ الباحثِ والمتعلِّمِ الإطّلاعُ على حياةِ الفردِ العلميةِ وإسهامِهِ في ما قدَّمَهُ للحضارةِ الإسلاميةِ مِنْ آثارٍ وكتبٍ؛ يدافعُ بها بحججِهِ القاطعةِ وبراهينِهِ الدامغةِ عنْ مذهبِ الفقيهِ الأكبرِ أبي حنيفةَ النعمانِ بنِ ثابتٍ، ويردُّ بها كلَّ تيّارٍ أرادَ أنْ يستهدِفَ تهديمَ دعائمِ العقيدةِ الإسلاميةِ، ويأخذُ بيدِ المرءِ كائناً مَنْ كانَ وحيثُ كانَ إلى طريقِ السعادةِ والفلاحِ في الدنيا والآخرةِ؟

وإنْ أردْنا أنْ نقدِّرَ تاريخَ ولادةِ أبي منصورٍ فإننا نستطيعُ ذلكَ بمعرفةِ تاريخِ وفاةِ بعضِ أساتذتِهِ؛ فإذا كانَ أستاذُهُ محمدُ ابنُ مقاتلٍ الرازيُّ قد تُوفِّيَ سنة / ٢٤٨/ هجرية[1] وأستاذُهُ نُصيرُ بنُ يحيى البلخيُّ قد ماتَ سنةَ / ٢٦٨/ هجرية[2]، وكانَتْ صُغْرى سِنِّ يتقدمُ بها المرءُ إلى مجالسِ العلمِ، هي الخامسةُ، ولا يبلغُ الثامنةَ إلا وقد حفظَ القرآنَ العظيمَ، فإننا نستطيعُ أن نقولَ: إنَّ أبا منصورٍ الماتريديَّ قد وُلِدَ حوالَي سنةِ /٢٣٨/ هجرية.

هذا وقالَ مُحَقِّقا الجزءِ الأوَّلِ مِنْ كتابِ (تأويلاتِ أهلِ السنةِ) في مقدِّمَتِهما[3]: (نستطيعُ أنْ نتلمَّسَ مولدَهُ في العقدِ الرابعِ من القرنِ الثالثِ الهجريِّ، أي إنَّهُ وُلِدَ في عهدِ خلافةِ المتوكِّلِ على الله الخليفةِ العباسيِّ / ٢٣٢ ـ ٢٤٧/ هجرية، وإنَّهُ يتقدمُ في مولدِهِ على أبي الحسنِ الأشعريِّ ببضعٍ وعشرينَ سنةً)[4].

فعلى هذا يُمكنُنا القولُ: إنَّ أبا منصورٍ الماتريديَّ قد عاشَ قُرابةَ مئةِ عامٍ؛ إذْ وُلِدَ على ما قدَّرْنا سنةَ /٢٣٨/ هجرية تقريباً، وتُوفِّيَ سنة / ٣٣٣/ هجرية، ودُفنَ في سمرقَندَ تاركاً تراثاً ثَرّاً يهتدي بهِ أقرانُهُ وتلامذتُهُ والأجيالُ مِنْ بعدِهِ إلى الطريقِ القويمِ لفهمِ القرآنِ العظيمِ والسنةِ الشريفةِ وعقيدةِ أهلِ السنَّةِ.

(١) و(٢) مقدمة (إشارات المرام مِنْ عباراتِ الإمامِ) ص/٦، و(إتحاف السادةِ المتقينَ بشرحِ إحياءِ علومِ الدينِ) ح٢/ ٥، و(الفوائد البهيّة في تراجمِ الحنفيةِ) ص/ ٢٠١ وص/ ٢٢٢.

(٣) ص/ ١٠.

(٤) وُلِدَ أبو الحسنِ الأشعريُّ سنة/ ٢٦٠/ هجرية وتوفي سنة / ٣٢٤/ هجرية. انظر الأعلام لخير الدين الزركلي.

مدرسةُ ابي منصورٍ الماتريديِّ

عُرفَ أبو منصورٍ الماتريديُّ بينَ أقرانِهِ العلماءِ ومَنْ ترجمَ له أنهُ حنفيُّ المذهبِ.

فقد ذكرَهُ صاحبُ أقدمِ كتابٍ ترجمَ رجالَ المذهبِ الحنفيِّ عبدُ القادرِ بنُ أبي الوفاءِ محمدٍ القرشيُّ المتوفَّى سنةَ /٧٧٥/ هجرية في كتابِهِ (الجواهر المضيَّة في طبقاتِ السادةِ الحنفيَّةِ)، فقالَ: (محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمودٍ أبو منصورٍ الماتريديُّ، كانَ مِنْ كبارِ العلماءِ؛ تَخَرَّجَ بأبي نصرٍ العِياضيِّ. كانَ يقالُ لهُ: إمامُ الهدى، له كتابُ (التوحيد) وكتابُ (ردّ الأدلّة للكَعْبِيِّ) وكتابُ (وَهْم المعتزلةِ) وكتابُ (تأويلات القرآنِ)؛ وهو كتابٌ لا يوازيهِ فيهِ كتابٌ، بل لا يدانيهِ شيءٌ مِنْ تصانيفِ مَنْ سبقَهُ في هذا الفنِّ، ولهُ كتبٌ شتَّى. ماتَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ بعدَ وفاةِ أبي الحسنِ الأشعريِّ بقليلٍ، وقبرُهُ بسمرقندَ)[1].

وحذا المترجمونَ بعدَ القرشيِّ حذوَهُ، فكانَ ما ذكرُوهُ في كتبِهِمْ تأكيداً لقولِهِ وتثبيتاً لمكانةِ أبي منصورٍ العلميّةِ[2].

اساتذةُ ابي منصورٍ الماتريديِّ

يبدو لنا مِنِ استعراضِ ما قالَ هؤلاءِ المترجمونَ أنَّ أبا منصورٍ الماتريديَّ ارتادَ مجالسَ العلمِ منذُ نعومةِ أظفارِهِ، وتفقَّهَ على كبارِ أئمةِ عصرِهِ الذينَ اتخذُوا المذهبَ الحنفيَّ سبيلاً، وتمسَّكُوا بأفكارِ وآراءِ وعقيدةِ الفقيهِ الأكبرِ أبي حنيفةَ النعمانِ ابنِ ثابتٍ الذي يُعَدُّ أوَّلَ متكلمي أهلِ السنَّةِ مِنَ الفقهاءِ[3].

فَمِنْ شيوخِهِ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إسحاقَ الجَوزجانيُّ الذي أخذ العلمَ عن أبي سليمانَ موسى بنِ سليمانَ الجَوزجانيِّ، وجمعَ بينَ الأصولِ والفروعِ وصنَّفَ كتابَيْنِ: الأولُ (الفرق والتمييز) والثاني (التوبة)[4].

وَمِنْ شيوخِهِ الإمامُ أبو نصرٍ أحمدُ بنُ العباسِ.. بنِ عِياضٍ.. بنِ عُبادةَ الأنصاريُّ السمرقنديُّ، ذكرَهُ الإدريسيُّ في تاريخِ سمرقندَ، وقالَ: (كانَ مِنْ أهلِ العلمِ والجهادِ؛ حاربَ الكفرةَ في بلادِ التركِ، ولم يكنْ أحدٌ يُضاهيهِ بعلمِهِ وَوَرَعِهِ وجَلادَتِهِ وشهامَتِهِ إلى أنِ استُشهدَ مُخَلِّفاً أربعينَ رجلاً مِنْ أصحابِهِ كانُوا مِنْ أقرانِ أبي منصورٍ)[5].

ومِنْ شيوخِهِ نُصيرُ بنُ يحيى البَلخيُّ الذي أخذَ العلمَ عَنْ أبي سليمانَ موسى بنِ موسى الجَوزجانيِّ وكانَ بارعاً في الفقهِ الحنفيِّ والكلامِ، تُوفِّي سنةَ /٢٦٨/ هجرية[6].

ومِنْ شيوخِهِ أيضاً محمدُ بنُ مقاتلٍ الرازيُّ الذي تفقَّهَ على محمدِ بنِ الحسنِ الشيبانيِّ؛ كانَ عَلَماً من أعلامِ تفسيرِ القرآنِ العظيمِ والحديثِ الشريفِ، شغلَ منصبَ القضاءِ في الرَّيِّ إلى أنْ توفِّيَ سنةَ /٢٤٨/ هجرية، وتركَ كتباً كثيرةً منها كتابُ (المدَّعِي والمدَّعَى عليهِ)[7].

وقد حقَّق هؤلاءِ الأربعةُ السلسلةَ المتكاملةَ بينَ الفقيهِ الأكبرِ أبي حنيفةَ النعمانِ بنِ ثابتٍ المتوفَّى سنةَ /١٥٠/ هجرية

---

(١) ح٢/ ١٣٠ و١٣١.

(٢) ذيل كتاب (الجواهر المضيّة في طبقات السادة الحنفيّة) للإمام علي بن (سلطان) محمد القاري ح٢/ ٥٦٢ وكتاب (تاج التراجم في طبقات الحنفية) رقم الترجمة /٢١٧/ ص /٢٤٩/ وكتاب (كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان) المخطوط الورقتين /١٢٩/ و/١٣٠م وكتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) ح٢/ ١٣٣ وكتاب (إشارات المرام من عبارات الإمام) ص/ ٤ و/ ٦ و.. وكتاب (إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين) ح٢/ ٥ وكتاب (الفوائد البهيّة في تراجم الحنفية) ص/ ١٩٥.

(٣) (إشارات المرام من عبارات الإمام) ص/ ١٩.

(٤) (إشارات المرام من عبارات الإمام) ص/ ٦ و(إتحاف السادة المتقين..) ح٢/ ٥ و(الفوائد البهيّة في..) ص/ ١٤ و/ ٢١٦.

(٥) (إشارات المرام من..) ص/ ٦ و(إتحاف السادة المتقين..) ح٢/ ٥ و(الفوائد البهيّة في..) ص/ ٢٣.

(٦) (إشارات المرام من..) ص/ ٦ و(إتحاف السادة المتقين..) ح٢/ ٥ و(الفوائد البهيّة في..) ص/ ٢١٦ و٢٢١.

(٧) (إشارات المرام) ص/ ٦ و(الفوائد البهية) ص/ ١٦٣ وص/ ٢٠١ و(إتحاف السادة المتّقين) ح٢/ ٥ .

وأبي منصورٍ الماتُريديُّ؛ فقد كانَ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ إسحاقَ الجَوزجانيُّ والإمامُ أبو نصرٍ أحمدُ بنُ العباسِ العِياضِيُّ ونُصَيرُ بنُ يحيى البلخيُّ تلامذةَ أبي سليمانَ موسى بنِ سليمانَ الجَوزجانيِّ المتوفَّى بعدَ سنة / ٢٠٠/ هجرية، وكان أبو سليمانَ موسى الجَوزجانيُّ قد تتلمذَ على أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ إبراهيمَ المتوفَّى سنةَ / ١٨٢/ هجرية وعلى محمدِ بنِ الحسنِ الشيبانيِّ المتوفَّى سنةَ / ١٨٩/ هجرية، وكانَ كلاهما: أبو يوسفَ ومحمدُ بنُ الحسنِ الشيبانيُّ قد لازما أبا حنيفةَ، وأخذا عنهُ العلمَ[١]، وكنّا ذكرْنا أنَّ محمدَ بنَ مقاتلٍ كانَ قد أخذَ العلمَ عنْ محمدِ بنِ الحسنِ الشيبانيِّ.

ومِنَ الجديرِ بالذكرِ أنَّ الزمنَ غالباً ما يدورُ فيجلسُ الأستاذُ والتلميذُ في حَلْقَةٍ بحثٍ واحدةٍ، فيتشاورانِ، ويشتركانِ في الرأيِ، أو يختلفانِ؛ وإلى هذا أشارَ الكفويُّ في كتابِهِ المخطوطِ (كتائبُ أعلامِ الأخيارِ مِنْ فُقهاءِ مذهبِ النعمانِ): (ورغم أنّ أبا نصرٍ أحمدَ بنَ العباسِ العِياضيَّ كان شيخاً للماتريديِّ فإنّهُ كانَ يجلسُ معهُ في حَلْقَةِ أبي بكرٍ أحمدَ بنِ إسحاقَ الجوزجانيِّ، وتخرَّجا معاً في حَلْقتِهِ)[٢].

تلامذةُ ابي منصورٍ الماتريديِّ

يذكرُ المترجمونَ أنّه تخرَّجَ على يدي أبي منصورٍ كثيرٌ منْ أئمةِ العلماءِ:

منهمْ أبو القاسمِ إسحاقُ بنُ محمدِ بنِ إسماعيلَ الشهيرُ بالحكيمِ السمرقنديِّ المتوفى سنةَ / ٣٤٥/ هجرية؛ تولّى قضاءَ سمرقندَ، وألّفَ كتباً كثيرةً منها: (الصحائفُ الإلهيةُ) و (السوادُ الأعظمُ) و (الردُّ على أصحابِ الهوى) و (والإيمانُ جزءٌ مِنَ العملِ)[٣].

ومنهمُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ سعيدٍ الرُّسْتُغْفَنيُّ نسبةً إلى رُسْتُغْفَنَ إحدى قرى سمرقندَ المتوفَّى سنةَ / ٣٥٠/ هجرية؛ صنَّف كتباً كثيرةً منها: (إرشادُ المهتدي) أو (إرشادُ المبتدي) و (الزوائدُ والفوائدُ في أنواعِ العلومِ)[٤].

ومنهمُ الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ موسى البزدويُّ المتوفَّى سنةَ / ٣٩٠/ هجرية؛ برعَ في الفقهِ خاصةً، وكانَ مِنْ أسرةٍ تخرَّجَ منها عباقرةُ العلماءِ في الفقهِ والأصولِ[٥]؛ منهمْ عليُّ بنُ محمدٍ المُكَنَّى أبا الحسنِ والملقبُ بفخرِ الإسلامِ والمتوفَّى سنةَ / ٤٨٢/ هجرية[٦].

ومنهمْ أبو الليثِ نصرُ بنُ محمدٍ السمرقنديُّ الذي ألَّفَ ما يقاربُ خمسةَ عشرَ كتاباً في التفسيرِ والعقيدةِ والفقهِ والتصوفِ، توفِّيَ سنة / ٣٧٣/ هجرية[٧].

مؤلفاتُ ابي منصورٍ الماتريديِّ

إنَّ تلكَ الحياةَ المديدةَ التي عاشَها أبو منصورٍ الماتريديُّ بصحبةِ الفقهاءِ والعلماءِ والمحدِّثينَ أتاحَتْ لهُ أنْ يشاهدَ، ويسمعَ، ما يجري هنا وهناكَ مِنْ أحداثٍ، ويقرأ ما يطرحُ أصحابُ الفرقِ والمذاهبِ مِنْ أفكارٍ وآراءٍ، وكوَّنَتْ لَدَيهِ حَصيلةً واسعةً ضمَّتِ الثقافةَ العربيةَ واليونانيةَ والفارسيةَ.

وإنَّ أسماءَ الكتبِ التي صنَّفَها أبو منصورٍ وذكرَها المترجمونَ تدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ مؤلَّفاً قد نذرَ فكرَهُ، وبذلَ

(١) (إشارات المرام) ص/ ٦ و(الفوائد البهيّة) ص/ ١٦٣ وص/ ٢٢٥، و(إتحاف السادة المتقين) ح٢/ ٥.
(٢) الورقة / ١٢٩ من الكتاب المخطوط و(إتحاف السادة المتقين) ح٢/ ٥.
(٣) (الجواهر المضيّة) ح١/ ١٣٩، و(مفتاح السعادة) ح٢/ ٢٥٦، و(الفوائد البهيّة) ص/ ٤٤.
(٤) (الجواهر المضيّة) ح٢/ ١٣٠، و(مفتاح السعادة) ح٢/ ٢٥٦، و(الأعلام) ح٤/ ٢٩١ .
(٥) (الجواهر المضيّة) ح٢/ ١٣٠، و(الفوائد البهيّة) ص/ ١٠١.
(٦) (الفوائد البهيّة) ص/ ١٢٤ و(الأعلام) ح٤/ ٣٢٨.
(٧) (الجواهر المضيّة) ح٢/ ١٩٦، و(الفوائد البهيّة) ص/ ٢٢٠.

حياتَهُ للدفاعِ عنِ العقيدةِ الإسلاميةِ والردِّ على المنحرفينَ عنِ السنَّةِ القويمةِ. ولا يخفَى على الباحثِ أو الدارسِ ما أصابَ الأمةَ الإسلاميةَ وتُراثَها مِنْ أحداثٍ ضَيَّعَتْ أكثرَ مؤلفاتِها، ونسبَتْ كثيراً منها إلى غيرِ أصحابِها.

هذا وقد عَدَّدَ أوَّلُ مَنْ ترجمَ لهُ، وهو عبدُ القادرِ القرشيُّ صاحبُ كتابِ (الجواهر المضيّة في طبقاتِ السادةِ الحنفيةِ) المتوفَّى سنة / ٧٧٥/ هجرية كتبهُ، فقال: «له كتابُ (التوحيد) وكتابُ (ردّ أوائلِ الأدلةِ للكَعْبيِّ) وكتابُ (بيان وَهْمِ المعتزلةِ وكتابُ (تأويلاتِ القرآنِ». ثم قالَ: «وله كتبٌ شَتَّى»[1].

وزادَ قاسمُ بنُ قُطْلُوبُغا صاحبُ كتابِ (تاج التراجمِ في طبقاتِ الحنفيةِ) المتوفَّى سنةَ / ٨٧٩/ هجرية على تلكَ الكتبِ كتابَ (المقالاتِ) وكتابَ (ردّ وعيدِ الفُسَّاقِ للكَعْبيِّ) وكتابَ (ردّ تهذيبِ الجدلِ للكَعْبيِّ) وكتابَ (ردِّ الأصولِ الخمسةِ لأبي محمدٍ الباهليِّ) وكتابَ (ردِّ الإمامةِ لبعضِ الروافضِ) وكتابَ (الردّ على أصول القرامطةِ) وكتابَ (الردّ على فروعِ القرامطةِ) وكتابَ (مأخذ الشرائعِ) وكتابَ (الجدلِ)[2].

واستمرَّتْ هذه الزيادةُ لَدَى بعضِ المترجمِينَ، فقالُوا: (له: (رسالة في ما لا يجوز الوقوفُ عليه في القرآنِ) و (وصايا ومناجاة) أو (فوائد))، وهذا الأخيرُ باللغةِ الفارسيةِ. ونسبَتْ بعضُ المصادرِ إلى أبي منصورٍ خطأً كتابَ (الدُّرر في أصولِ الدينِ) وكتابَ (شرح الإبانةِ) وكتابَ (شرح الفقهِ الأكبرِ) وكتابَ (العقيدة الماتريدية)[3].

ويُعدُّ كتابُ (أبو منصورِ الماتريديُّ: حياته وآراؤُهُ العقديةُ) لمصنِّفِهِ الدكتورِ بلقاسمِ الغالي أحدثَ مؤلَّفٍ درسَ حياةَ أبي منصورٍ وثقافتَهُ ومدرستَهُ ومؤلفاتِهِ؛ وقد بيَّنَ لنا في نهايةِ الأمرِ حصيلةَ ما ابقى لنا الزمنُ مِنْ مآثرِ أبي منصورٍ، وصنَّفَها في علومٍ ثلاثةٍ: التفسيرُ وأصولُ الفقهِ وعلمُ الكلامِ[4].

أ ـ فأمّا علمُ التفسيرِ فقد صنَّفَ فيه كتاباً واحداً هو (تأويلات أهلِ السنةِ) وهو موضوعُ ما بينَ دفَّتَي هذا الكتابِ الذي مَنَّ اللهُ ـ تعالى ـ عليَّ بتحقيقِهِ.

ب ـ وأمّا علمُ أصولِ الفقهِ فقد صنَّف فيه كتابَينِ اثْنَينِ هما: (مأخذ الشرائعِ) و(الجدل)، ويعدُّهما العلماءُ جامعَينِ للأصولِ والفروعِ عندَ الأحنافِ ومرجعَينِ لعلمِ أصولِ الفقهِ إلى القرنِ الخامسِ الهجريِّ حينَ ظهرَ كتابُ (مقدمة أحكامِ القرآنِ) لأبي زيدٍ الدبوسيِّ المتوفَّى سنةَ / ٤٣٠/ هجرية، وكتابُ (كنزِ الوصولِ إلى علمِ الأصولِ) لأبي الحسنِ البزدويِّ المتوفَّى سنةَ / ٤٨٢/ هجرية. وكتابُ (الأصولِ) لأبي بكرٍ السرخسيِّ المتوفَّى سنةَ / ٤٨٣/ هجرية وكانَتْ هذهِ الكتبُ خيرَ تعويضٍ عَنْ كتابَي أبي منصور اللَّذَينِ فُقِدا في ما فُقِدَ مِنَ المكتبةِ العربيةِ الإسلاميةِ[5].

جـ ـ وأمّا علمُ الكلامِ فقد كانَتْ تصانيفُهُ فيها كثيرةً، تحدَّثَتْ عَنِ التياراتِ الفكريةِ التي هزَّتْ كيانَ الأمةِ الإسلاميةِ، وجمعَتِ القضايا العقيديةَ التي تناولَتْها الفرقُ السياسيةُ والدينيةُ، وردَّتْ عليها ردّاً موضوعيّاً بعيداً عنِ الهوى والإسفافِ.

ونستطيعُ أن نصنِّفَ كتبَ أبي منصورٍ في علمِ الكلامِ في موضوعاتٍ ثلاثةٍ: المقالاتُ والردودُ وأصولُ التوحيدِ.

أ ـ أمّا المقالاتُ فقد جمعَ كثيرٌ مِنَ العلماءِ في تلكَ الحقبةِ وما يليها أقوالَ الفِرَقِ الإسلاميةِ، وسَمَّوا كتبَهُمْ في ذلكَ (المقالاتِ)؛ فكانَ منها (مقالاتُ الإسلاميِّينَ) لأبي القاسمِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ الكَعْبيِّ المتوفَّى سنةَ / ٣١٩/ هجرية و(مقالاتُ الإسلاميِّينَ واختلافُ المصلِّينَ) لأبي الحسنِ عَليِّ بنِ إسماعيلَ الأشعريِّ المتوفَّى سنةَ / ٣٢٤/ هجرية و(المقالاتُ) لمؤلِّفِنا أبي منصورٍ الماتريديِّ المتوفَّى سنةَ / ٣٣٣/ هجرية و.. وما زالَ كتابُ (المقالات) لأبي منصورٍ مخطوطاً حبيساً في مكتبةِ كبرلي في إستانبول تحت رقم / ٨٥٦/ يحتاجُ إلى دراسةٍ وتحقيقٍ[6].

---

(١) ج٢/ ١٣٠ و١٣١.

(٢) ص/ ٢٤٩ و٢٥٠.

(٣) ص/ ٧ من مقدمة كتاب (التوحيد) وص/ ٦٥ و٦٦ و٦٧ من كتاب (أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية).

(٤) الصفحات / ٧٠ ـ ٨٥ . (٥) المرجع السابق ص/ ٦٠و...

(٦) ص/ ١٤ من مقدمة (تفسير الماتريدي المسمى تأويلات أهل السنة) وص/ ٦٦ من كتاب (أبي منصور الماتريدي) وص/ ٧ من مقدمة كتاب (التوحيد).

ب ـ ولم يكنْ أمرُ علماءِ الكلامِ مُقْتَصراً على ذكرِ أقوالِهِمْ في كتبِهِمْ، وإنما كانُوا يحاولُونَ أنْ يُثبتُوا صحةَ مذاهبِهِمْ بالردِّ على كلِّ مَنْ يخالفُهُمُ الرأيَ بإيرادِ الحجَجِ السديدةِ القاطعةِ والبراهينِ الدامغةِ لبيانِ بُطلانِ كلِّ مذهبٍ غيرِ مذهبِهِمْ.

وإنما نذكرُ في هذا المجالِ كتبَ إمامِ المعتزلةِ الأكبرِ أبي القاسمِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ الكَعْبِيِّ المتوفَّى سنةَ / ٣١٩/ هجرية: كتابَ (تهذيب الجدلِ) وكتابَ (وعيد الفُسَّاقِ) وكتابَ (أوائل الأدلَّةِ)، ونذكرُ كتابَ (الأصول الخمسة) لإمامِ المعتزلةِ أبي محمدٍ أو أبي عمرَ محمدِ بنِ سعيدِ الباهليِّ المتوفَّى سنةَ / ٣٠٠/ هجرية.

وقد تصدّى أبو منصورٍ الماتريديُّ إلى كلِّ مَنْ كتبَ في مذهبٍ غيرِ مذهبِ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ ولاسيما في مذهبٍ منحرفٍ عنِ السنةِ ليبيِّنَ للعالِمِ والمتعلِّمِ مَدَى خطإِ ذلكَ المذهبِ البعيدِ عن السنَّةِ وصحةَ مذهبِ أهلِ السنَّة؛ فردَّ على أبي محمدٍ الباهليِّ في كتابِ (ردّ الأصولِ الخمسةِ)، وردَّ على أبي القاسمِ الكَعْبِيِّ على كتبِهِ بكتابِ (ردّ تهذيبِ الجدلِ) وكتابِ (ردّ وعيدِ الفُسَّاقِ) وكتابِ (ردّ أوائلِ الأدلةِ)، وبيَّنَ ضياعَ أتباعِ المعتزلةِ في كتابِ (بيان وَهْمِ المعتزلةِ)، وردَّ على الروافضِ في كتابِ (ردّ الإمامةِ لبعضِ الروافضِ)، وردَّ أخيراً على القرامطةِ في كتابَينِ: الأوّلُ (الردّ على القرامطةِ) والثاني (الردّ على فروعِ القرامطةِ).

ومهما يكنْ مِنْ أمرٍ فقدانِ هذهِ الردودِ مِنَ المكتبةِ العربيةِ الإسلاميةِ فإنَّ عناوينَها تدلُّ دلالةً واضحةً على شدةِ تياراتِ تلكَ المذاهبِ المخالفةِ التي أرادتْ أنْ تُسيءَ إلى الأمةِ الإسلاميةِ وإلى دينِها الحنيفِ وتمكُّنِ أبي منصورٍ مِنَ الوقوفِ بوجهِها والردِّ عليها بأسلوبٍ علميٍّ منطقيٍّ، يدعُونا إلى الدعاءِ لهُ مردِّدينَ قولَ اللهِ ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦] لِما بذلَهُ في الدفاعِ عَنْ مذهبِ أهلِ السنةِ الذي يُعَدُّ مِنَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ.

جـ ـ ويتصدَّرُ كتابُ (التوحيدِ) كتبَ أبي منصورٍ في علمِ الكلامِ لأنَّ أبا منصورٍ بيَّنَ فيه المبادئَ والأصولَ التي يجبُ أنْ يدركَها أهلُ السنَّةِ ليكونُوا جديرينَ بحملِ صفاتِ المسلِمينَ المؤمِنينَ ويعملُوا ما فيه الخيرُ، فينالُوا ثوابَ اللهِ ـ تعالى ـ في الدنيا والآخرةِ، وجعلَ عنوانَ الكتابِ (التوحيدَ) ليؤكِّدَ أنَّ الإسلامَ هو دينُ اللهِ ﷻ.

بدأَ أبو منصورٍ كتابَهُ (التوحيدَ) ببيانِ فسادِ التقليدِ ووجوبِ معرفةِ الدينِ بالدليلِ الذي يقبلُهُ العقلُ، ويعبِّرُ عنه الكلامُ، ثم انتقلَ إلى ذكرِ صفاتِ اللهِ ـ جلَّ شأنُهُ ـ وردَّ على أفكارِ بعضِ الفرقِ كالمعتزلةِ والمُشَبِّهةِ والثَّنَوِيَّةِ والخوارجِ والمانَوِيَّةِ و. . . ، وختمَ كتابَهُ بمعالجةِ بعضِ المسائلِ الكلاميةِ والردِّ عليها؛ وكانتِ المسألةُ الأولى منها مسألةَ القضاءِ والقدرِ، وكانتِ المسألةُ الأخيرةُ مسألةَ الإسلامِ والإيمانِ.

وقدِ احتلَّ هذا الكتابُ مكانةً عظيمةً في كتبِ علمِ الكلامِ، وحَظِيَ باهتمامِ العلماءِ عَبْرَ العصورِ؛ فكانَ كلُّ مَنْ يحصلُ على نسخةٍ مخطوطةٍ لهُ يَعُدُّ نفسَهُ مِنَ السُّعداءِ لأنهُ يجدُ فيهِ بغيَتَهُ في كلِّ موضوعٍ مِنْ موضوعاتِ علمِ التوحيدِ.

ولم يُبْقِ الزمنُ مِنْ تلكَ النسخِ إلا واحدةً ظلَّتْ في مكتبةِ جامعةِ كمبردج إلى أنْ هَيَّأَ اللهُ لها الدكتورَ: فتحُ اللهِ خليفٌ، فحقَّقَها، ووضعَ لها مقدمةً غنيَّةً بموضوعِها وفضلِ مصنِّفِها في الدفاعِ عَنِ العقيدةِ الإسلاميةِ وأهلِ السنَّةِ. وصدَرَتْ أوَّلُ طبعةٍ لهذا الكتابِ سنةَ / ١٩٧٠/م، وأُعيدَ طبعُهُ سنةَ / ١٩٨٢/م.

التعريفُ بكتابِ تاويلاتِ اهلِ السنَّةِ

يُعَدُّ هذا الكتابُ مِنْ أهمِّ ما صنَّفَ أبو منصورٍ الماتريديُّ لأنهُ يمثِّلُ قمةَ ما وصلَ إليه علمُهُ الذي نَذَرَ فكرَهُ وحياتَهُ لهُ لِبيانِ صحةِ مذهبِ أهلِ السنةِ والجماعةِ والدفاعِ عنهُ تجاهَ تياراتِ المذاهبِ المخالفةِ الراغبةِ في زعزعةِ صرحِ العقيدةِ الإسلاميةِ.

وإنَّ عنوانَ الكتابِ (تأويلات أهلِ السنةِ) يدعُونا إلى بيانِ معنى التفسيرِ والتأويلِ لغةً واصطلاحاً.

فالتفسيرُ في اللغةِ، هو التَّفْعيلُ منَ الفَسْرِ، وهو البيانُ والكشفُ، فَسَرَ الشيءَ يفسِرُهُ بالكسرِ، ويفسُرُهُ بالضمِّ فَسْراً، وفسَّرَهُ أبانَهُ، وكشفَ عنهُ. قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

والتفسيرُ في الإصْطِلاحِ، هو بيانُ كلامِ اللهِ ـ جلَّ شأنُهُ ـ وإيضاحُهُ والكشفُ عنِ المرادِ مِنْ ألفاظِهِ المُشْكِلةِ.

وقدِ اختلفَ العلماءُ في بيانِ شأوِهِ، فَوَجَدوهُ أخيراً يضمُّ علوماً كثيرةً كعلمِ التجويدِ وعلمِ القراءاتِ وعلومِ اللغةِ : صرفِها ونحوِها وبيانِها وبديعِها وعلومِ أحكامِ القرآنِ: أسبابِ نزولِ آياتِهِ الكريمةِ وناسخِها ومَنسوخِها ومُحْكَمِها ومُتشابَهِها وعِبَرِها وأمثالِها وحلالِها وحرامِها و ...[1].

والتأويلُ في اللغةِ، هو التفعيلُ مِنَ الأوْلِ، وهو الرجوعُ؛ آلَ يَؤولُ أوْلاً ومآلاً رجعَ يرجِعُ، وأوَّلَ الشيءَ رجَعَهُ، وألْتُ عَنِ الشيءِ ارْتَدَدْتُ.

والتأويلُ في الإصْطِلاحِ، هو صَرْفُ الآيةِ الكريمةِ إلى ما تحملهُ مِنْ معانٍ يقتضيها المرادُ منها؛ أوَّلَ الكلامَ وتأوَّلَهُ فَسَّرَهُ، وقَدَّرَهُ، ودبَّرَهُ. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد اختلفَ العلماءُ في تعريفِ كلٍّ مِنَ التفسيرِ والتأويلِ؛ فوجدَ أبو عُبيدةَ مَعْمَرُ ابنُ المُثَنَّى المتوفَّى سنةَ / ٢١٠/ هجرية وطائفةٌ معه: أنهما بمعنى واحدٍ[2]، وبيَّنَ ابنُ قُتَيبةَ عبدُ اللهِ بنُ مسلمٍ المتوفَّى سنةَ / ٢٧٦/ هجرية في كتابِهِ (تأويل مشكلِ القرآنِ) أنَّ التأويلَ زيادةٌ في الشرحِ والإيضاحِ[3].

ووضعَ أبو منصورٍ الماتريديُّ حدوداً واضحةً لكلٍّ مِنَ التفسيرِ والتأويلِ، فقالَ في أوَّلِ مقدمةِ كتابِهِ (تأويلات أهلِ السنَّةِ): (الفرقُ بينَ التأويلِ والتفسيرِ، هو ما قيلَ: التفسيرُ للصحابةِ والتأويلُ للفقهاءِ)، ثم بيَّنَ الفرقَ بينَ التفسيرِ والتأويلِ بأسلوبِ علمِ الكلامِ الذي برعَ فيه في كلِّ كتبِهِ، ثم أتى بمثالٍ، هو قولُهُ تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة ١ و..] عرضَ فيه أقوالَ المفسرينَ والمؤوِّلينَ منتهياً إلى قاعدةٍ هي (.. التفسيرُ ذو وجهٍ واحدٍ والتأويلُ ذو وجوهٍ) محذِّراً مَنْ يعتمدُ في تفسيرِهِ على رأيِهِ ومردِّداً قولَ رسولِ اللهِ ﷺ : «.. وَمَنْ قالَ في القرآنِ برأيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مقعَدَهُ مِنَ النارِ»[4].

ومِنَ المعلومِ أنَّ الفقهَ هو العلمُ بالشيءِ والفهمُ لهُ، وغلبَ على علومِ الدينِ لسيادتِهِ وشرفِهِ وفضلِهِ على سائرِ أنواعِ العلومِ. قالَ اللهُ ـ تعالى شأنُهُ:

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]. ولمّا دعا النبيُّ ﷺ لعبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما بقوله: « اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدينِ، وَعَلِّمْهُ التأويلَ»[5] أي فَهِّمْهُ معناهُ وتأويلَهُ، استجابَ اللهُ ـ تعالى ـ دعاءَهُ، فكانَ.. أعلمَ الناسِ في زمانِهِ بكتابِ اللهِ ﷻ.

---

(١) (الإتقان في علوم القرآن) ٤/ ١٦٩.

(٢) (مجاز القرآن): المقدمة ج١ /١٨و/١٩، و(الإتقان في علوم القرآن) ٤/ ١٦٧، و(التفسير والمفسرون) ١/ ١٩.

(٣) ص/ ٧٧ من المقدمة.

(٤) سنن الترمذي ح٥/ ١٩٩ رقم الحديث / ٢٩٥١.

(٥) مسند أحمد ح١/ ٢٦٦ و..

وقد بيَّنّا في ذكرِ ترجمةِ أبي منصورٍ أنهُ كانَ مِنْ أتباعِ أبي حنيفةَ النعمانِ بنِ ثابتٍ الذي كانَ يعتمدُ في شرحِ أفكارِهِ وآرائِهِ على العقلِ والنقلِ بآنٍ واحدٍ، فكانَ أبو منصورٍ في مقدمةِ علماءِ الكلامِ الذينَ أخذوا عنهُ أصولَ علمِ الكلامِ، وعَلِمْنا أنَّهُ ردَّ على أئمةِ المعتزلةِ ولا سيما أبو القاسِمِ الكَعْبِيُّ وأبو محمدٍ الباهليُّ وعلى الروافضِ والقرامطةِ وأنهُ سجَّلَ خلاصةَ أفكارِهِ العقيديةِ في كتابِهِ (التوحيد).

وكانَ مِمَّا فضَّلَ اللهُ ﷻ على أبي منصورٍ أنْ وفَّقَهُ إلى تصنيفِ هذا الكتابِ في تأويلِ آيِ الذكرِ الحكيمِ ليكونَ عمدةً لأهلِ السنةِ والجماعةِ على مَرِّ الأزمانِ والعصورِ.

منهجُ ابي منصورٍ في هذا الكتابِ

يستطيعُ القارئُ أنْ يستخلصَ منهجَ أبي منصورٍ في تصنيفِهِ هذا الكتابَ مِنْ مقدمتِهِ التي يعرِّفُ بها كتابَهُ ومِنْ عملِهِ نفسِهِ:

أ ـ فهو بعدَ أنْ يذكرَ اسمَ السورةِ يقولُ: (وقولُهُ تعالى: ﴿...﴾ قيلَ فيه) أو (يحتملُ وجْهَينِ أو ثلاثةَ وجوهٍ..)، ويعرِضُ كلَّ وجهٍ، ويُناقِشُهُ، ويُورِدُ أقوالَ المفسِّرينَ مِنَ الصحابةِ والتابِعينَ والمؤوِّلينَ أهلِ الثقةِ، ثم يرجِّحُ الوجهَ الذي يذهبُ إليه مؤيِّداً إياه بذكرِ آيةٍ كريمةٍ أو حديثٍ شريفٍ أو خبرٍ صحيحٍ لِيُثْبِتَ صحةَ ما أرادَ أنْ يقرِّرَهُ ومصدِّراً إياهُ بقولِهِ: (والأصلُ عندَنا..) أو بقولِهِ (وعندَنا..).

ب ـ وإذا كانَ هناكَ أحدٌ قد فسَّرَ الآيةَ الكريمةَ بوجهٍ مخالفٍ لرأيِ أهلِ السنةِ فإنهُ يذكرُ اسمَهُ صراحَةً كأبي بكرٍ الأصمِّ أو جعفرِ بنِ حربٍ، أو يسمِّي الفرقةَ التي تقولُ بذلكَ الوجهِ كالمعتزلةِ والكَرَّاميَّةِ والباطنيَّةِ والخوارجِ و..، ويعرضُ الرأيَ المخالفَ، ثم يردُّ عليهِ بالأدلَّةِ النقليةِ والعقليةِ التي يلتزمُ بها لإيضاحِ عقيدةِ أهلِ السنَّةِ الصحيحةِ مُتَوَخِّياً جادةَ الصوابِ والحكمةِ.

جـ ـ والحكمةُ هي صفةُ العالِمِ الحقِّ الذي يقفُ أمامَ ميزانِ الصوابِ، لا يحيدُ عنهُ قيدَ أُنمُلَةٍ، ويعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، ولا يعبأُ بغيرِ الحقِّ، ويُقِرُّ لخصمِهِ بصوابِ رأيِهِ، إنْ صحَّ لَدَيهِ، أيّاً كانَ خصمُهُ.

فليس عجيباً إذنْ أنْ ينقُلَ أبو منصورٍ قولَ بعضِ العلماءِ مؤيِّداً إياهُمْ كقولِهِ في تفسيرِ قولِهِ تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ [إبراهيم ٢١]: (قالَ بعضُ أهلِ العلمِ: إنَّ الكفرةَ جميعاً أتباعَهُمْ ومتبوعِيهِمْ أعلمُ بهدايةِ اللهِ مِنَ المعتزلةِ؛ لأنهم قالُوا: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ عَلِمُوا أنَّ اللهَ ﷻ لو هداهُمْ لاهتَدَوا، ويملِكُ هدايتَهُمْ، والمعتزلةُ يقولُونَ: قد هدى اللهُ جميعَ الكفرةِ وجميعَ الخلائقِ، فلم يهتَدُوا، وإنَّهُ لو أرادَ أنْ يهديَ أحداً لم يملِكْ، والكفرةُ حينَ: ﴿قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ رَأَوا، وعلمُوا أنَّ اللهَ لو هداهُمْ لاهتَدَوا؛ لأنَّهُمْ لو لم يهتَدُوا بهدايتِهِ إذا هداهُمْ لم يعتذِرُوا إلى أتباعِهِمْ: ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾).

وليسَ غريباً أيضاً أنْ يُبرزَ أبو منصورٍ غلطَ المعتزلةِ بهذا الأسلوبِ التهكميِّ في قولِهِ: (إبليسُ أعلمُ باللهِ مِنَ المعتزلةِ حينَ رَأوا أنَّ اللهَ لا يُغوِي أحداً، ولا يختصُّ أحداً إلا بصنعٍ منهُ)، وذلكَ في تأويلِ قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر ٣٩].

د ـ وإذا كانتِ الآيةُ الكريمةُ في بيانِ مسألةٍ فقهيةٍ كانَ أبو منصورٍ يفسِّرُها معتمداً على رأيِ إمامِهِ الفقيهِ الأكبرِ أبي حنيفةَ النعمانِ بنِ ثابتٍ، ويردُّ بهِ على الفقهاءِ الآخَرينَ.

هـ ـ وكانَ أبو منصورٍ يلجأُ لتأكيدِ أفكارِهِ إلى أسلوبِ الإثباتِ مرَّةً وإلى أسلوبِ النفيِ مرَّةً أخرى ليُقَرِّبَهَا إلى ذهنِ القارئِ، فَيَتَفَهَّمَهَا تَفَهُّماً جَيِّداً.

و ـ وكثيراً ما كانَ يعودُ إلى تفسيرِ الآيةِ مكرِّراً ما أتى بهِ ومُضِيفاً إليهِ ما فتحَ اللهُ عليهِ مِنْ أفكارٍ جديدةٍ تزيدُ ما بيَّنَهُ وُضوحاً وتثْبيتاً.

ز ـ وكانَ يتجاوزُ أحياناً ذكرَ آيةٍ كريمةٍ أو بعضَ آيةٍ لأنَّها لم تكُنْ مَحَطَّ الخِلافِ آراءِ المُؤَوِّلينَ.

ح ـ وكانَ يشيرُ إلى وجوهِ قراءةِ بعضِ الآياتِ القرآنيةِ الكريمةِ حتى وجوهِ القراءاتِ الشاذَّةِ ليؤيِّدَ بذلكَ صحَّةَ تأويلِ أهلِ السنةِ.

ط ـ وإذا كان تأويلُ الآيةِ الكريمةِ يحتاجُ إلى بيانٍ لغويٍّ كانَ أبو منصورٍ يرجِّحُ رأيَهُ كتسميتِهِ الكلمةَ حرفاً في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] الذي يجمعُ خصالَ الخيرِ، وقولِهِ: (منها أنَّ في الحرفِ الأولِ مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ شكراً لجميعِ النعمِ..).

ي ـ وكانَ أبو منصورٍ يعتمدُ في ذكرِ الأحاديثِ الشريفةِ على حافظتِهِ، فكانَتْ نصوصُها عندَهُ تختلفُ أحياناً عنِ النصوصِ المكتوبةِ في كتبِ السنةِ.

ك ـ وكانَ ينهي حديثَهُ غالباً بعباراتٍ نجدُها في كتابِهِ (التوحيد) أيضاً تصورُ شكرَه للهِ ﷻ على ما أنعمَ عليهِ بهدايتِهِ إلى ما وصلَ إليهِ مِنَ التفكيرِ والمناقشةِ والرَّدِّ السليمِ، فيقولُ: (واللهُ الهادي) أو (وباللهِ التوفيقُ) أو (وباللهِ العِصْمَةُ والرَّشادُ) أو نَحْوَ ذلكَ.

ل ـ وإذا كانَ مَنْ يَرُدُّ عليه مُغالياً في تَعَنُّتِهِ بيَّنَ غَلَطَهُ، ثم قالَ: (فَنَعُوذُ باللهِ مِنَ السَّرَفِ في القَولِ).

م ـ وكانَ مِنْ مَنْهَجِ أبي مَنصورٍ في هذا التفسيرِ أنْ يُعْنى بالمَواضِيعِ التي لا يُؤْمَنُ فيها مِنَ الوُقوعِ في الزَّيغِ. مثالُ ذلك مَعْنَى قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة ٢٩ وفصلت١١] وقولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف ٥٤ ويونس٣ والرعد٢ والفرقان ٥٩ والسجدة ٤ والحديد ٤] وقولِهِ تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه ٥].

فقد وَقَفَ عندَ مَعْنى (الإسْتِواء) و(العَرْشِ) وأحالَهُ إلى مَواطِنِ ذِكْرِهِ في القرآنِ العظيمِ لِيَقْرِنَ النَّظيرَ بِنَظيرِهِ، ثم أرْسَى مُناقَشَتَهُ للموضوعِ، وحَسَمَ رَدَّهُ على (المُشَبِّهَةِ) بأنَّ مَنْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى ١١] عَظَمَةً وقُدْرَةً، لا بُدَّ أنْ يكونَ مَدْلُولُ (العَرْشِ) و(الإسْتِواءِ) في تنزيلِهِ على غَيرِ مِثالٍ ممّا يمرُّ في خاطِرِ البَشَرِ مِنَ القعودِ والإسْتيلاءِ والسَّيْطَرَةِ.

فأنّى لِلْبَشَرِ أنْ تُدْرِكَ عقولُهُمُ (المَخْلوقَةُ) ما لا قِبَلَ لها بإدراكِهِ مِنْ عَظَمَةِ (الخالِقِ) جلَّ شأنُهُ! وأنّى لها أنْ تُحيطَ بِمَنْ يُحيطُ بها وبما في الأكوانِ جميعاً! وما كانَ اللهُ لِيَخْلُقَ عَقْلَ العَبْدِ لأكْثَرَ ممّا تَحْتاجُهُ حياتُهُ الدنيا.

فطبيعيٌّ جِدًّا إذنْ أنْ يكونَ الإسلامُ اسْتِسْلاماً وتَسْليماً لِلْحُدودِ والقُدُراتِ التي رُسِمَتْ لنا. وما كانَ لنا أنْ نكونَ أكْبَرَ مِنْ أنْفُسِنا أو أقْدَرَ أو أعْظَمَ. وإنّها لَذاتُ حَدٍّ ليسَ شيئاً إزاءَ مَنْ لا حُدودَ لهُ.

وكانَ لذلك المَنْهَجِ العَجيبِ الذي مَهَرَ بِهِ أبو منصورٍ حُظْوةٌ كبيرةٌ مِنَ التَّقْريظِ في ما وصَفَهُ بِهِ الإمامُ عبد القادرِ بْنُ أبي الوفاءِ القُرَشِيُّ المُتَوَفَّى سَنَةَ / ٧٧٥/ هجرية في قولِهِ: (هو كتابٌ لا يُوازيهِ فيهِ كتابٌ، بل لا يُدانيهِ شيءٌ مِنْ تَصانيفِ مَنْ سَبَقَهُ في ذلكَ الفَنِّ)[1].

واعْتَمَدَ هذا القولَ كلُّ مَنْ أتى بَعْدَهُ مِنَ المُتَرْجِمينَ لأنهمْ لم يَجدوا خَيراً منهُ في بيانِ مَكانَتِهِ في عِلْمِ التَّفْسيرِ.

ونَسْتَطيعُ أنْ نقولَ في نهايةِ حَديثِنا عنْ أبي منصورٍ: إنَّ الألقابَ التي أطْلَقَها عليهِ أصحابُهُ وتلامِذَتُهُ ومُتَرْجِمُوهُ: إمامَ الهُدَى وإمامَ المُتَكَلِّمينَ ومُصَحِّحَ عَقائِدَ المُسْلِمينَ ورئيسَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ ومُهْدِيَ هذهِ الأمَّةِ وناصِرَ السُّنَّةِ وقامِعَ البِدْعَةِ ومُحْيِيَ الشَّريعَةِ ومُوَطِّدَ عَقائِدَ أهلِ السُّنَّةِ[2] أفْضَلُ إجازةٍ لهذا العالِمِ الإمامِ الجَليلِ، رَحِمَهُ اللهُ، وأسْكَنَهُ فَسيحَ جَنَّاتِهِ.

(١) (الجواهر المضيّة في طبقات السادة الحنفية) ٢/ ١٣٠ و١٣١.

(٢) المراجع المذكورة في ترجمة المؤلف.

عملي في تحقيقِ هذا الكتابِ

لا شكَّ أنَّ أوَّلَ عملٍ يقومُ بهِ المُحَقِّقُ، هو حصولُهُ على أكثرِ مِنْ نسخةٍ للكتابِ الذي يريدُ العملَ بهِ ليضعَ بينَ يدي القارئِ صورةً صحيحةً لِما كتبَ المؤلفُ.

وقد حصلْتُ بعدَ معاناةٍ شديدةٍ على صورتَينِ مِنْ نسخِ الكتابِ: الأولى مِنْ نسخةِ المكتبةِ الظاهريةِ في دمشقَ والمحفوظةِ في مكتبةِ الأسدِ الوطنيةِ، والثانيةُ مِنْ نسخةِ دارِ الكتبِ المصريةِ في القاهرةِ.

وكانَتْ لجنةُ القرآنِ الكريمِ المنبثقةُ عنِ المجلسِ الأعلى للشؤونِ الإسلاميةِ في القاهرةِ قد أصدرَتِ الجزءَ الأولَ مِنْ هذا الكتابِ المتضمِّنَ سورةَ الفاتحةِ والآياتِ ١ـ ١٤٠ مِنْ سورةِ البقرةِ؛ حقَّقَهُ الدكتور إبراهيم عوضين والسيد عوضين سنةَ ١٣٩١هجرية = ١٩٧١ ميلادية.

وأصدرَتْ وزارةُ الأوقافِ والشؤونِ الدينيةِ في بغدادَ قسماً مِنْ هذا الكتابِ يتضمَّنُ سورةَ الفاتحةِ وسورةَ البقرةِ كاملةً؛ قامَ بتحقيقِهِ الدكتور محمدُ مستفيضُ الرحمنِ سنةَ ١٤٠٤هجرية =١٩٨٣ميلادية.

وإنّي لأجدُ مِنَ الجديرِ بالذكرِ عرضَ أوصافِ ما صارَ بينَ يديَّ. فأبدأُ بوصفِ نسخةِ المكتبةِ الظاهريةِ فأقولُ: إنّها محفوظةٌ اليومَ في مكتبةِ الأسدِ الوطنيةِ برقم ٤٩٥ ومصوّرَةٌ (بميكروفيلم) برقم ٣٠٠٥، وهي نسخةٌ خزائنيةٌ نفيسةٌ مغلفةٌ بغلافٍ جلديٍّ مزخرفٍ على الأسلوب العثمانيّ المتأخِّرِ، وعددُ أوراقِها ٦٦٠ ورقةً، طولُ كلِّ ورقةٍ ٣١,٥سم، وعرضُها ٢٠,٥ سم، وأُطِّرَ النصُّ بإطارٍ مُذَهَّبٍ، وعددُ أسطرِ كلِّ صفحةٍ ٤٥ سطراً، وعددُ كلماتِ كلِّ سطرٍ ٢٥ كلمةً تقريباً.

وعلى وجهِ الورقةِ الأولى (١ـ أ) قيدُ خاتَمُ المكتبةِ العموميةِ الظاهريَّةِ تاريخُهُ ١٢٢٩هجرية، وبأعلى ظهرِ الورقةِ (١ـ ب) لوحةٌ مستطيلةُ الشكلِ مزخرفَةٌ بزخارفَ نباتيَّةٍ دقيقةٍ ملونةٍ بألوانٍ مختلفةٍ ومؤطَّرَةٌ بإطارٍ مُذَهَّبٍ، كتبَ الناسخُ ضِمْنَها عبارةَ: فاتحة الكتابِ، وتحت هذهِ اللوحةِ بدءُ الكتابِ: قالَ الشيخُ أبو منصورٍ:.. وكانَ الناسخُ يؤطِّرُ اسمَ كلِّ سورةٍ بإطارٍ مُذَهَّبٍ.

واستخدمَ الناسخُ لَونَينِ مِنَ المدادِ: الأحمرَ والأسودَ، كتبَ بالمدادِ الأحمرِ أسماءَ السوَرِ و: قوله تعالى، و: قوله، ووضعَ بهِ خطوطاً فوقَ العباراتِ المهمةِ. وكانَتْ نهايةُ الكتابِ محصورةً بِحَرْدَةٍ، كانَتْ آخرُ عبارةٍ فيها: وعلى ذلكَ تركُ كتابةِ فاتحةِ الكتابِ، واللهُ أعلمُ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكانَ خطُّ الناسخِ تعليقاً حيناً وفارسيّاً حيناً آخرَ.

ويبدو أنَّ النسخةَ مُصَحَّحَةٌ لوجودِ كلمةِ (صح) في بعضِ الهوامشِ. وقد سميتُ هذهِ النسخةَ (الأصلَ).

أمَّا نُسخَةُ دارِ الكتبِ المصريةِ فإني أُثبتُ ما ذكرَهُ المحقِّقانِ في وصفِها في مقدِّمَتِهما: أنها محفوظةٌ بالدارِ المذكورةِ برقم: ٦ تفسير قوله، مجلدةٌ بمجلدٍ واحدٍ، مُذَهَّبَةُ الصفحات، عددُ أوراقِها ٦٥٦ ورقةً، وعددُ أسطرِ كلِّ صفحةٍ ٤٥ سطراً، وعددُ كلماتِ كلِّ سطرٍ ٢٥ كلمةً تقريباً.

كتَبَها مصطفى بنُ محمدِ بنِ أحمدَ سنةَ ١١٦٥هجرية منْ نسخةِ المؤلفِ بخطٍّ واضحٍ مُسْتَخْدِماً المدادَ الأحمرَ لكتابةِ أسماءِ السورِ وكلمةِ (قوله ﷺ) في بَدْءِ كلِّ آيةٍ. وعلى هامشِ بعضِ الصفْحاتِ تَعْليقاتٌ: إمّا تكميلُ آيةٍ وردتْ مَنْقوصةً في الأصلِ وإمّا تعْليقٌ على رأيٍ بِمَزيدٍ منْ توضيحٍ وتَبْيينٍ لِمَعْنىً لُغَويٍّ وغَيرِهِ.

وقد سَقَطتِ الورقةُ الأولَى مِنْ هذهِ النسخةِ؛ فكانَ أوَّلَ ما بَينَ أيدينا ظَهْرُ هذه الورقةِ المَبْدوءةِ بعبارةِ: في الأرضِ وغَيرِها.. والتأويلُ عندَنا ما أجْمَعَ عليهِ أهلُ الكلامِ. وقد رَمَزْت إلى هذهِ النسخةِ بالحرفِ: م.

ويبدو منْ مقابلةِ النسخةِ الظاهريةِ بالنسخةِ المصريةِ أنهما أقربُ إلى التّطابُقِ الذي يَدْعونا إلى القولِ: إنَّ النسخَتَينِ الظاهريةَ والمصريةَ قد نُسِخَتا مِنْ نُسْخةِ المؤلِّفِ.

وقد اعتمدَ المُحَقِّقانِ: الدكتور إبراهيم عوضين والسيد عوضين نسخةَ دارِ الكتبِ المصريةِ التي ذَكَرْنا أوصافَها ونسخةَ كبرللي التركيةَ التي رَمَزا إليها بالحرفِ: ك. ورَمَزْتُ إلى كتابِهما بـ: ط م (ط: يَعْني مطبوعاً، وم: يَعْني مصرياً).

أمّا المُحَقِّقُ الدكتور محمدُ مستفيضُ الرحمنِ فقد اعْتَمَدَ غَيرَ نُسخةٍ. ورَمَزْتُ إلى كِتَابِهِ بـ: ط ع (ط: يَعْني مطبوعاً، وع: يَعْني عراقياً).

ووضَعْتُ أمامي النسخةَ التي سَمَّيتُها (الأصلَ) وكتابَ المُحَقِّقَينِ الذي رَمَزْتُ إليهِ بـ: ط م وكتابَ المُحَقِّقِ الذي رَمَزْتُ إليهِ: بـ: ط ع، وقُمْتُ بِمُقابلةِ بعضِها على بعضٍ. ولمّا انْتَهَتِ المقابلةُ على الكتابَينِ المذكورَينِ تناوَلْتُ نسخةَ دارِ الكتبِ المصريةِ، وأصبَحَتِ المُقابلةُ مُقْتَصِرَةً على نسخةِ (الأصلِ) ونسخةِ دار الكتب المصريةِ (م).

وحاوَلْتُ الاسْتِفَادَةَ منْ تلكَ النسخِ لِيَخْرُجَ النَّصُّ أكثَرَ صِحَّةً وأقْرَبَ إلى ما كَتَبَهُ المؤلِّفُ، ورَجَعْتُ إلى كُتُبِ القراءاتِ القرآنيةِ وكتبِ السُّنَّةِ الشريفةِ وكتبِ التفاسيرِ، وبيَّنْتُ في الحواشي ما هو بحاجةٍ إلى التفسيرِ.

وبَعْدَ بَدْءِ العَمَلِ في هذا الكتابِ الجليلِ شاءَ اللهُ ﷻ أنْ يُيَسِّرَ مِنْ أمرِهِ ما قد كانَ يَتَعَسَّرُ، فَحَصَلْتُ على صورةٍ لإحدى نُسْخَتَي الكتابِ المحفوظَتَينِ في مكتبةِ الحَرَمِ المكِّيِّ الشريفِ؛ والحمدُ للهِ أوّلاً وآخِراً، والشُّكْرُ لِمَنْ أسْعَفَ، وأعانَ!

فإذا هذهِ الصورةُ هي شرحُ الكتابِ، كتبَهُ علاءُ الدين... رئيسُ أهلِ السنة والجماعةِ أبو بكر بنُ محمدِ بنِ أحمدَ السمرقنديُّ. لِذا رأيتُ ألّا أعُدَّ صورةَ النسخةِ المكيّةِ بمرتبةِ النسخَتَينِ المذكورَتَينِ، وأنْ أرجِعَ إليها أحياناً لكشفِ الحقِّ في مواضِعِ الغموضِ أو التَّصحيفِ الواقعَينِ في النُّسْخَتَينِ المُعْتَمَدَتَينِ.

وعلى الرغْمِ منْ ذلكَ كلِّهِ لا بدَّ مِنَ التعريفِ بالنسخةِ المكيّةِ: انْتَهَى مِنْ نسخِها موسى السيدُ عبدُ العزيزِ سنةَ ١١٩٢هجرية، وهي محفوظةٌ في مكتبةِ الحَرَمِ المكيِّ الشريفِ في جُزْأينِ مُرَقَّمينِ بـ ٥٢٩ و٥٣٠، ومصورَةٌ بفيلمَينِ رقْمُهُما ٢٧٦٨ و٢٧٦٩.

وأخيراً لا بدّ لي منَ الإشارةِ إلى أمرَينِ:

أحدُهما: ما ذَكَرَهُ أبو منصورٍ في تفسيرِهِ، ولهُ تَعَلُّقٌ بالعَقيدةِ، مُتَّفِقٌ معَ مَنْهجِهِ في علمِ الكلامِ، وقد يكونُ هذا المَنْهَجُ مُخالِفاً مَنْهَجَ السَّلَفِ وبَعضَ فِرَقِ أصحابِ علمِ الكلامِ في بعضِ المسائلِ.

والثاني: وُرودُ جملٍ في الكتابِ ذاتِ تركيبٍ خاصٍّ، قد يَعْجَزُ عنْ معرفةِ المرادِ منها الكثيرُ منَ القُرّاءِ الكرامِ، وذاتِ ألفاظٍ على غيرِ وجهِ استعمالِها كاستخدامِهِ لكلمةِ (حيث) في موضعِ الدلالةِ على الزمانِ.

لذلكَ كلِّهِ آثَرْتُ تَرْكَ التَّعليقِ على هذهِ المُخالفاتِ وتَرْكَ شرحِ التراكيبِ حِرْصاً مني على تقديمِ الكتابِ كما أرادهُ المؤلِّفُ ووَفْقَ المَنْهَجِ الذي الْتَزَمْتُهُ لإخراجِ هذا الكتابِ غَيرَ مُثْقَلٍ بكثرةِ الحَواشي خدمةً لهذا الدينِ الحنيفِ وأداءً لأمانةِ العلمِ.

وإني أتَوَجَّهُ إلى اللهِ ﷻ في الدعاءِ أنْ يُوَفِّقَني لأداءِ هذا العملِ وإنجازِهِ على الوجهِ الذي يَرْتَضيهِ، فتكونَ فيهِ الفائدةُ. إنهُ هو السميعُ المجيبُ.

فاطمة يوسف الخيمي

الصفحة الأولى من نسخة المكتبة الظاهرية المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية

وقف

الصفحة الأخيرة من نسخة المكتبة الظاهرية المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية

الصفحة الثانية من نسخة دار الكتب المصرية المسماة قوله

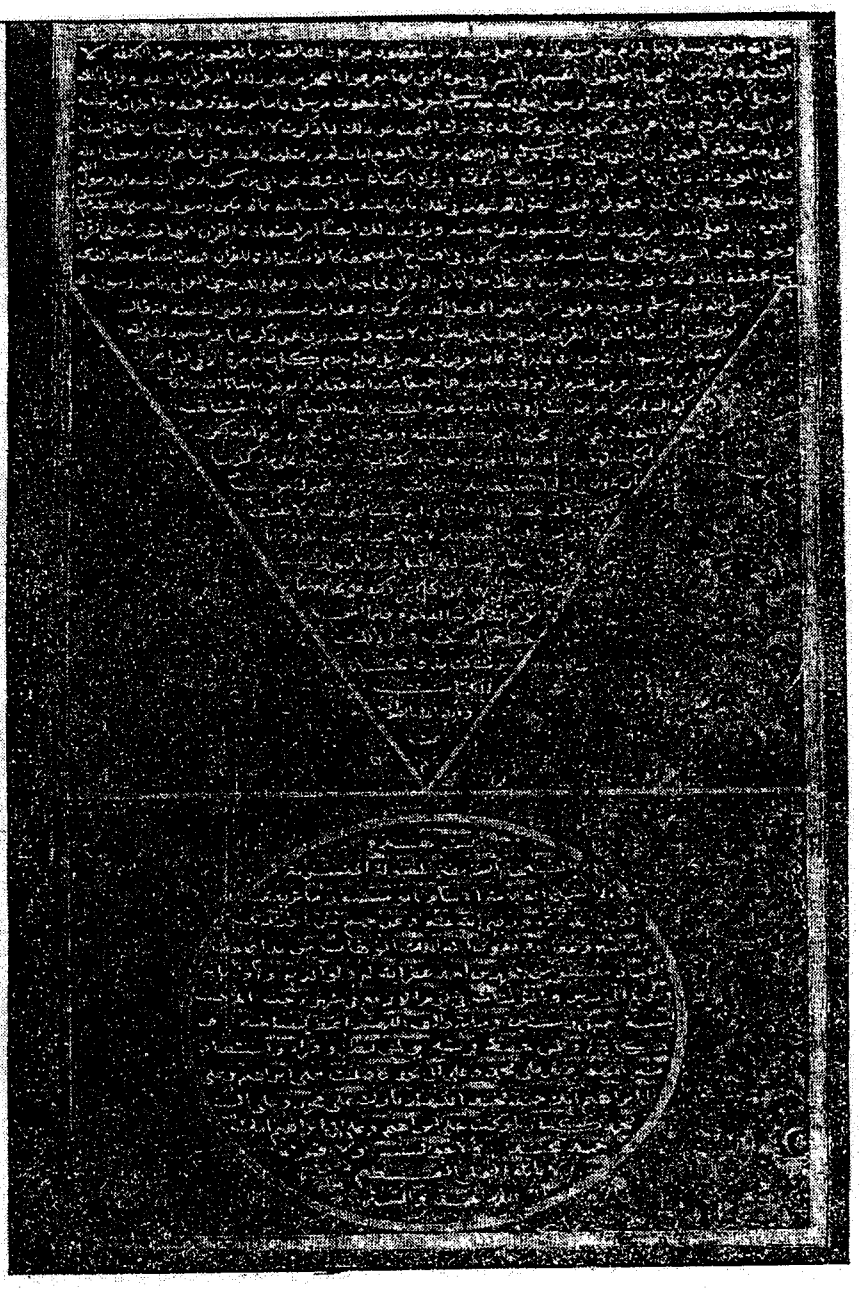

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب المصرية المسماة قوله

أطلس تاريخ الإسلام ـ د. حسن مؤنس ـ القاهرة ـ الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٧م